التمثّل والمحاكاة في شعر خالد أبو خالد

العوديسا الفلسطينية –أنمودجا-

Representation and Simulation in the Poetry of Khaled Abu Khaled

The"Palestinian Odessa" as a model

مختار بركان*

د(ة). رجاء مستور†

تاريخ الإرسال: 2023/07/15	تاريخ القبول: 2023/10/08	تاريخ النشر: 2024/06/30

الملخص:

يتمحور محتوى هذا المقال حول توظيف تجارب إنسانية أدبية سابقة في محاولات إبداعية أخرىمعاصرة، وفق آلية "التمثّل والمحاكاة"، بغية الاستفادة منها شكلا ومضمونا، لنسج منتوج شعري جديد وهادف، يساير روح العصر ويواكب الثابت والمتغير فيه، سواء كان واقعا معاشا أوحُلُمًا غائباً متخيّلاً، وقد وقع اختيارنا هذه المرة على رؤى ومنظور الشاعر الفلسطيني "خالد أبوخالد"، من خلال رائعته "العوديسا الفلسطينية".

الكلمات المفتاحية: العوديسا الفلسطينية، التمثّل، المحاكاة، شعر، خالد أبو خالد.

Abstract:

The content of this article revolves around the employment of literary human experiences in contemporary creative attempts, according to the mechanism of assimilation and imitation, in order to benefit from them in form and content to weave a new poetic product, based on visions and from the perspective of the Palestinian poet "Khaled Abu Khaled", through his masterpiece "The Palestinian Odyssey".

* مخبر الدراسات الأدبية والنقدية جامعة البليدة 2: em.berkane@univ-blida2.dz

† مخبر الدراسات الأدبية والنقدية جامعة البليدة 2: r.mestour@univ-blida2.dz

Key words: *The Palestinian Odyssey, representation, imitation, poetry, Khaled Abu Khaled*

*** *** ***

المؤلف المرسل: مختار بركان em.berkane@univ-blida2.dz

1. مقدمة:

إن تأثر اللاحق بالسابق ظاهرة فطرية غريزية عند الإنسان وعند باقي الكائنات الحيةالتي تشاركه هذا الكون، وتقاسمه هذه الحياة، إلا أن الإنسان بما منّ الله عليه من عقل راجح، وفكر ناضج ناصح، تجاوز هذه المرحلة، وصار ينتقي ويختار ما يناسبه ويخدمه لتوصيل رسالته، خاصة في ميدان الأدب العربي، الذي انفتح على الثقافات الأجنبية الأخرى، ناهلاً من دررها وفرائدها، على عكس علماء اللغة العربية، الذين انغلقوا على أنفسهم ساعة الجمع والتدوين، تحصينا للغتهم من الاختلاطوالفساد.

ويسعى هذا البحث لتمثيل حدث إنساني وملحمي عظيم يتسم بالعجائبية والغرابة عاشته أمم غابرة، فيإبداع أدبي إنساني آخر أعظم، مازال شعبه يناضل الاضطهاد والقهر، وهو يحيا ويعيش أحداث يومياته بآلامها وآمالها، بعيدا عن زيف الخرافات وريب الأساطير.

ومن الأسماء الأدبية الكبيرة التي خاضت هذه التجربةوجسّدت هذا العمل الضخم الشاعر الفلسطيني المحارب"خالد أبو خالد" الذي نحت من مصطلحي العودة والأوديسة مصطلح "العوديسا " وأضاف لها الجرح الذي لا يندمل والأرض التي لا تنفصم "فلسطين" لتصبح "العوديسا الفلسطينية"، التي هي موضوع المقال وجوهر السؤال.

فلماذا حاكى الشاعر ملحمة "الأوديسة" دون غيرها من الملاحم؟

وماهي أوجه المقاربة الفنية والموضوعية بينهما؟

وما هي مجالات وميادين التقاطع بين"أوديسيوس" الملحمي و"خالد أبو خالد" الشاعر والمسرحي؟

وقد اعتمدنا في إنجاز هذا المقال دراسة أدبية، على ضوء منهج تاريخي استقرائي.

ومن أهدافهالسامية تقريب العمل التطبيقي من النظري، وتذليل وشرح المصطلحات والمفاهيم الغامضة والمبهمة المرافقة لنا في مسار المقال.

2. مفهوم التمثّل والمحاكاة:

1.2 مفهوم التمثّل:

أ – لغة:

جاء في لسان العرب في الجذر مثل: "تمثّل فلان ضرب مثلا، وتمثّل بالشيء ضربه مثلا... والمثال المقداروهومن الشِّبْهِ، والمثل: ما جعل مثال لغيره أي مقدار لغيره يخذى عليه.... والمثال القالب الذي يقدّر على مثله.... وتماثل العليل: قارب البرء فصار أشبه بالصحيح من العليل المنهوك"[1]

تكاد تجتمع هذه المعاني اللغوية على مفهوم واحد، يتجلى ويظهر في الاقترابمن وجه الشبه، فهوكالمرجع الذي قد نأخذ جلّه أوبعضه دون أن ننسخه نسخا كاملا، أو هو كالتناص في مستوياته المختلفة، الذي يرتشف مادته الأدبية من النصوص السابقة.

ب – اصطلاحا:

التمثّل (التصوّر) La représentation "يقصد بالتمثّل أو التصور مختلف الطرق التي بها تصبح الموضوعات ماثلة من جديد أمام الفكر، ويقصد به أيضا الطرق التي يستحضر بها الفكر الموضوعات الخارجية حتى في حالة غيابها وعدم وجودها.*

فالتمثّل إذن هوأن تستحضر شخصية بطولية قلّ نظيرها، أوحادثة استثنائية خلّدها التاريخ لتميزهاونقل أثرهافي الأفراد والمجتمعات، لتنجز عملا فنيا مهما كان نوعهوتلوّن شكله.

يقول كارل ماركس:"أن ما يميّز المهندس المعماري الأخرق عن النّحلة هوأنّ المهندس يحمل أوّلا المنزل في فكره". [2]

ومن معاني التمثّل الجلّية أيضاً ما جاء في خطاب الرئيس الراحل "حافظ الأسد*قائلاً: "فيا أحفاد أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم ... وعمر، وخالد، وصلاح الدين ... إن ضمير أمتنا ينادينا وأرواح شهدائنا تستحسنا أن **نتمثّل** معانياليرموك والقادسية وحطين وعين جالوت" [3].

ويقول الشاعر المكنى بـ "زرقاء اليمامة"في مقام آخر في قصيدة" **أصداء الشجرة المقطوعة**":

"على بابنا كانت حورة، صبية وحلوة، فيها نتعرف تعاقب الفصول، وذات يومصحونا فلم نجدها، وقيل آنذاك مرَّ حطاب، وقطعهاليصنع منها.

-ماذا؟

- أي شيء. .

وربما صليباً. " [4]

ومن معاني "الحورة" النبتة والرَّجعة، ولعل الشاعر يقصد أن أعداء الأرض استأصلوا أمل العودة إلى الأرض باقتلاع هذه النبتة التي اعتبرها الشاعر كمعادل موضوعي لحلم العودة.

2.2 مفهوم المحاكاة:

أ - لغة:

ورد في لسان العرب في الجذر حكى: " الحكاية: كقولك حاكيت فلاناً وحاكيته فعلت مثل فعله أوقلت مثل قوله... والمحاكاة المشابهة، تقول: فلان يحكي الشمس حسناً ويحاكيها بِمَعْنًى. "[5]

وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: "محاكاة[مفرد]: تشكل أوتلون كائن حي بشكل أولون شيء ما في بيئته للهروب من أعدائه (مع) تقليد فرد أوجماعة لأخرى في

تفكيرها وسلوكها عن قصد أوعن غير قصد... (أو) إعادة لحركات وأعمال تحت تأثير موقف معين، وتوجد لدى الإنسان والحيوان، وتعرف بالمحاكاة الغريزية. [6]

يتضح لنا مما سبق أن المحاكاة تتعدى حدود القول والفعل لتشمل التصنع والانتحال والمعادلات الموضوعية.

ب – اصطلاحا :

نظر المنظّرون إلى مفهوم المحاكاة من زوايا نظر مختلفة بداية من أفلاطون إلى أرسطووصولا إلى النقاد المتأخرين، وهي كثيرة لا يمكن تدوينها في هذا المقام، ولذلك اكتفينا بما يخدم الموضوع ويثريه .

يقول الكاتب: "والمحاكاة (أو التقليد) imitation هي اتِّخاذ أعمال مؤلف سابق نموذجا يحتذي من جانب مؤلف لاحق. وهذه نظرية شعراء جماعة الثُّريا بلياد La Pléiade بفرنسا في القرن السادس عشر ويترتب على ذلك في رأيه موجوب المحاكاة لأعمال العباقرة القدامى في الأدبين اليوناني والروماني

ويرى الشاعر أندريه شينييه André Chénier أن تقليد القدامى لا ينصبُّ إلا على قوالبهم وصيغهم الأدبية، أما موضوعات الشعر والمعاني... تكون من وحي عصر الأديب، ولا يمنع ذلك الأديب أن يحاكي الجمال الشكلي للأدب القديم ". [7]

وهذه المفاهيم المحررة سالفا وجدناها أقرب إلى ما نحا نحوه الشاعر والمسرحي *"خالد أبو خالد" في مجموعته الشعرية الكاملة، التي سميت "بالعوديسا الفلسطينية".

3.2 أنواع المحاكاة:

إن عدم التوافق على مصطلح "جامع مانع" لمفهوم المحاكاة أفرز جملة من المفاهيم تبنتها مدارس نقدية وأدبية ذائعة الصيت حاولت كل واحدة منها أن تضع المصطلح في السياق والميدان الذي يتناسب معا توجهاتها الفكرية والأدبية ونذكر منها:

أ– المحاكاة التهكمية (parody):

والتي تعني "إعادة أداء فني أوأدبي بطريقة ساخرة مثيرة للضحك والدُّعابة... [أوهي] محاكاة... أثر فني أوسمات مميّزة لشخصية معروفة، بحيث تراعى خصائص الأسلوب الشخصي أومميزات هذه الشخصية، ويكون ذلك بقصد الإضحاك...، مثال ذلك تقليد... مصطفى حماملمعلقة عمروبن كلثوم... ومطلع المحاكاة الساخرة:

ألا غوري بوّشك فاريقينا ولا تبقي العزال فترجعينا " [8]

يتهكم الشاعر فيقصيدة **"سيف بن ذي يزن "**قائلاً:

رُويَ عنه أنَّه كان ملكاً

ولكنَّني أعرفُ أنَّه كان فقيراً مشرَّداً مثلي

ورُويَ أنَّ أمَّه جاريةٌ حبشيةٌ.

لكنني أعرف أنها إمرأة عربية سباها الأحباش في إحدى غزواتهم، وهي ما زالت حتى الآن سبية أحباش هذا الزمان، ذوي الشعر الأشقرِ، والعيونِ الزرقِ، والقلوبِ السوداء. [9]

فالشاعر يعلم علم اليقين أن الأحباش لهم شعر أسود وعيون سودولكنهقال هذا الكلام متهكما ومبيّناًعلى أن العبرة بالقلوب البيضاء التي لا تحمل ضغينة ولا حقد ولا كراهيةوليس بالبشرة البيضاء.

ب – المحاكاة الصوتية (onomatopoeia):

وتقوم على " اختيار ألفاظ يوحي صوتها بمعناها... مثال ذلك قول أمرؤ القيس:

" مكر مفر مقبل مدبرمعاًكجلمود صخر حطّه السيل من عَلِ"

الذي يوحي بسرعةالحركة والاندفاع"[10]

أوكما قال "نزار قباني" في قصيدة غرناطة:

"وأمية راياتها مرفوعة* وجيادها موصولة بجيادي"[11]**

وإذا ما أسقطنا هذهالأمثلة على بعض ما كتبه الشاعر " أبو خالد "

وإننا لا نشك أبدا أن في تفكير الشاعر المحاربالذي كان يسمع ويرى كيف تصنع المقاومة لاسترجاع البيت الفلسطيني الذي ظلّ عالقاً وماثلاً في خياله، حتى إذا ما حضر الغروب فكّر في الرحيلإليه بعد الغياب، وإذا ما ظهر الشروق فكّر في الرجوعوالإياب، يغازل القدس بأمطار الشعر المنكه بتوابل دمشق الحارة، **و**يرسل بريد شتاته عبر الغمام الراحل، عوض الحمام الزاجل، الذي اصطدمت أسرابه بالجدار العازل والقاتل، وبالخبر المفزعوالعاجل، وهوالذييعشق الأمن والأمان، ويهوى السلم والسلام، هذا الذيلم يعد موجودا في أرض السلام، يقول الشاعر:

"يا حمام الشام الذي لا ينام

يا حمام البيوت التي لا تموت

إلى أن يقول:

أحب الشامالتي أيقظتني مآذنها

أرجحتني أجراسها

شكلتني في صوتها

من غفوت على حضنها كالقطا

فاشترتنيبأحلامها وصحوت على موطني موطنييا نشيد فلسطين

تحت قباب الشامحماة الديار عليكم سلام. " [12]

إن هذه القطعة الشعرية ترجمت بدقة المحاكاة الصوتية في شعر "خالد أبو خالد" حين تطرّق إلى المآذن والأجراس وهديل الحمامالتي توحي لنا بأصواتها كأننا نسمعها من خلال الكتابة.

ج – محاكاة الواقع، الاحتمالية (verisimilitude):

وتحرص هذه المحاكاة على "أن تكون شخصياتالمأساة وأحداثها مشابهة لأحداث الحياةالواقعية وشخصياتها بمعنى أن تكون معقولة وممكنة الوقوع... وليس معنى هذا أن تكون صورة طبق الأصل لما يحدث في الحياة، لأن وظيفة الفن أن يصور ما اختاره تصويراً فنياً جديداً.

وقد قسّم نقاد الأدب الفرنسيون في القرن السابع عشر محاكاة الواقع قسمين:

1- المحاكاة التاريخية وهي التي تكون أحداث المسرحيةوشخصياتها فيها أقرب ما يمكن إلى ما كانت عليه في الواقع التاريخي.

2 – الاحتمالية العامة، وهي تلك تطابق أحداثها وشخصياتها ما يتصوره الجمهور ممكناً في الحياة الإنسانية" [13]

لا يسعنا في هذا المقام سوى أن نعاود التمثيل بجملة الأبطال الذين طلب الرئيس " حافظ الأسد" من جنوده أن يتمثلوهم لأن بعض الأبطال قد يعيدهم التاريخ لنا كما أعاد لنا الخليفة الخامس الراشد " عمر بن عبد العزيز"تمثلا بجده "عمر بن الخطاب"الذي ملأ الأرض عدلاً، ومحمد الفاتح الذي فتحت على يديه "القسطنطينية" تشبها وتمثلاً ببطولة "خالد بن الوليد" و"عبيدة بن الجراح" وغيرهم ممن رضي الله عنهم وأرضاهم.

2. ترجمة موجزة عن الشاعر" خالد أبو خالد ":

ربما يبدوالخوض في ترجمة لشاعر ما في مقال علمي أمر يثير التعجب والفضول، وقد يضعه البعض في خانة الحشووالإطناب، لكن لما وجدنا أن الكثير ممن اشتغلوا على الشعر والأدبيجهلون هذا الاسم، سعينا لإظهاره للقارئ والباحث معاً.

"ولد الشاعر الفلسطيني " خالد أبو خالد" بـ "سيلة الظهر" قرب مدينة "جنين"، عام 1937م، من والد مناضل استشهد في 1936، فتكفل جده من أمه بتربيته أُسَرِياً وتأثّر تعليمياً بالشاعر الشهيد " عبد الرحيم محمود".

عاش أبو خالدطفولته وشبابه في ظروف صعبة، دفعته للعمل في مهن عديدة لكسب لقمة العيش لعائلته المحرومة.

مارس عدة مهن وتقلّد جملة من مناصب في عدة بلدان عربية، منها عمان والكويت وسوريا، صار عضوا في اتحاد الكتّاب الفلسطنيين، قبل أن ينتخب رئيسا له.

بلغت إصداراته 12 مجموعة شعرية جمعت كلها تحت عنوان " العوديسا الفلسطينية" واجمع النقاد على أن شعره يميل للحداثة والتجديد، وعدم تخليه عن الموسيقى، كما أن قصائده بقيت حلس القضية الفلسطينية بصورة مباشرة ورمزية، توفي خالد أبو خالد يوم الجمعة عن عمر 84 سنة بدمشق في آ خر يوم من 2021."[14]

3 - بنية "العوديسا الفلسطينية" :

1.3 من حيث الشكل :

أ- التسمية :

وضّح وبيّن الشاعر الذي يدعى مجازاً "نخلة فلسطين"*كيف تشكل مصطلح العوديسا الفلسطينية"حين صدرت مجموعته الشعرية «العوديسا», قال: " أما لماذا هي العوديسا؟. . لأن ملحمة الأوديسا هي التي تروي سيرة عودة"أدويسيوس" * إلى "إيثاكا " لإنقاذ "بينلوب" هي المعادل الهوميري لعودة الفلسطيني إلى فلسطين. فركّبت العنوان من العودة والأوديسا وهذا التركيب لم يغير كثيرا في الجملة."[15]

فمن الملاحظ أن الصدفة خدمت النص، بحيث نزل النص الهوميري عند رغبة واحتياجات الشاعر الذي أدمج مصطلح العودة مع الأوديسا، ليشكلا معا مصطلحا منحوتا اسمه العوديسا، ويرصعه بعد ذلك بفلسطين "أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين مسرى النبي ومهد المسيح عليهما الصلاة والسلام".

ب - الأناشيد :

صيغت الأوديسة على شكل أناشيد يغنيها الرعاة، واهتم شاعر فلسطين بالقصائد المغناة، يقول أبو خالد: "حاولت أن أضمن شعري أهازيج شعبية، ... ثم...

حاولت أن أضع أبياتا... من الشعر الشعبي لكي تشكل أيضا رافعة من روافع القصيدة... و... في الانتفاضتين الأخيرتين حوالي عشرين قصيدة... وقد وظفت مطالع شعبيةمعروفة عند جميع الناس لكي أبني عليها وأسقط سياسيا ما هوراهن " [16].

قال في مقام آخر:"الشعر المغنى لا يحتاج إلى وسيط ليصل. فهويأتي من وجدان الشعب وبلغة الشعب ليعود إلى ذات الوجدان وذات اللغة فيترك أثره على المشهد العام. [17]

لقد فهم ابن "سيلة الظهر" أن القناة المفضّلة لحفظ الموروث الشعري واستمراره على الألسن - خاصة حينما يكون يحمل وظيفة النضال والمقاومة –هي الأهازيج الشعبية والقصائد المغناة، ولذلك اهتم بها أيما اهتمام في إبداعاته الشعرية.

ومما أتيح لنا من هذه النماذج ما قرأناه في قصيدة **"أصداء الشجرة المقطوعة"**

حين يقول الشاعر:

"يا طيورٍ طايرة

يا وحوشٍ سايرة

دورنْ على حبابي

قلن جبينة راعية

بلا غنم بلا نوق

تقيّل بلا دالية"18

ج- الهيكل :

نسجت العوديسا الفلسطينية في ثلاث أجزاء و"بثلاثة مجلدات وثلاث طبعات، في كلّ من فلسطين والجزائر وسورية، ...يضم المجلد الأول أربع مجموعات شعرية، هي: " **وسام على صدر الميليشيا** "، "**نقوش محفورة على سلة الاشرفية**"، "**تغريبة أبو خالد**"،" **أغنية حب عربية إلى هانوي**"، واحتوى الثاني على خمس مجموعات شعرية هي: "**الجدل في منتصف الليل**" و"**شاهراً سلاسلي أجيء**" و"**بيسان في الرماد**"

و"**أسميك بحراً.. أسمي يدي الرمل**"، "**دمي نخيل للنخيل**" في حين أن المجلد الأخيرضمّ بين دفتيه قصيدة "**العوديسا**" و... "**فرس لكنعان الفتى**"، "**رمح لغرناطة**" و"**معلقة على جدار جنين**"، "**قتلنا الصمت**" و"**الرحيل باتجاه العودة**".[19]

ومن أجمل ما قيل في قصيدة " العوديسا "

عائد من مساء الحروبِ

ومن نجمة من شمال الغروبِ

ومن جمرة في رماد الجنوبْ

عائد من رحيلي. . ومن طرق لا تؤوبْ[20]

د - المزاوجة بين شعر التفعيلة وقصيدة النثر :

يعتبر بعض النقاد أن المزج بين نمطين من الشعرفي النص الشعري الواحد يخل بجمالية النصوتناغمه وقد يعتبره البعض الآخر عيبا كعيوب القافية في القصيدة العمودية مثلا، لكن الشاعر كانت له نظرة مغايرةحينما سئل عن سبب مزجه بين قصيدة التفعيلةوقصيدة النثر فقال: "أنا لم أزاوج إلا في عدد قليل من القصائد أهمها العوديسا الفلسطينية وجاءت هكذا عفوخاطر" [21].

وأضاف على ذلك أن قصيدة النثرلم تكن محصلة لقصيدة التفعيلةبل هيأسبق منها وجوداًوأطول حضوراًوذكر أمين الريحاني وحسن الزيات، بالإضافة إلى جبران ومي زيادة، كرواد الشعر المنثور في العالم العربي، وقد بتيّن لنا بعد البحث، أن أمين الريحاني كتب أول قصيدة في هذا الضرب من الشعرفي سنة 1907م.

هـ – البطل :

نجد أن البطل في الأوديسة واحد متمثل في شخصية "عولس" في حين أنه في "العوديسا" متعدد، إذ لا يكاد يسقط بطل في ساح المعركة إلا وحمل بطل آخررايةالقتال والنضال، ونلمس هذاالمعني بشكل جلي مع ما ورد في "العوديسا الفلسطينية" في جزئها الأول وفي مجموعته "تغريبة أبو خالد" حيث اشتملت عناوين

القصائد على حزمة من الأبطال التاريخيين والذين ماهم إلا معادل موضوعي لأبطال فلسطين، وقد رتبها الشاعر على النحو التالي: "**المهلهل، سيف بن ذي يزن، عنترة، هلال، شهرزاد في الليلة الثانية بعد الألف**" [22] وقد التفت "أبو خالد" إلى دور المرأة واختار شهرزاد كرمزية للمرأة الفلسطينية الذكية والشجاعة والصبورة على المحن، كما أن قصة "شهرزاد" توحي لتماطل الذي عرفته القضية الفلسطينية من طول للمدة دون الوصول إلى حل القضية.

ومن معاني البطولة عند أبو خالد مقال عن نفسه:

" أنا لي من الأحلام أحلاميبما يخفي لأصمد

أنا لي من الألواة لون صواعقي والأفق أحمر

كان المقرر أن أموت ولم أمت

كان المقرر أن يغيبني الرحيل ولم أغب" 23

2.3 من حيث الموضوع:

لا شك أن الشاعر وجد في ملحمة الأوديسة البطولة والمقاومة التي يحتاجها أي محارب لتخليص وطنه وتحرير أرضه من المغتصبين، ومن أهم هذه العناصر نذكر:

أ - الاغتراب والحنين:

الاغتراب والحنينظاهرة ورحلة وجدانية رافقت البشرية منذ أن وطأت قدم أول إنسان هذه الأرض ومازالت وستبقى ناموسا من نواميس هذا الكون الشاسع والواسع.

" وقصة الأوديسة هي إحدى الملاحم التي نظمها الشاعر... هوميروس في تاريخ تلك الحروب الطويلة المريرة... " [24].

وكذلك حرب فلسطين بدأت في 1948 ومازالت مستمرة حتى يعود " فتى كنعان " إلى كنعان، و"زيتونة فلسطين" إلى فلسطين.

وكلتا القصَّتين ولنقل الملحمتينااللَّتين جسَّدتا معنى "الاغتراب والحنين "في أسمى معانيهما خاصة "العوديسا الفلسطينية" التي ماهي إلا مرآة عاكس لواقع ماثل أمامنا.

ب - الحيّل الحربية:

تعتبر حيلة الحصان الخشبي في الأوديسة من أهم الحيل المخلصة يقول الكاتب:" استطاعت الجيوش اليونانية اقتحام المدينة بفضل الحيلة التي أشار بها أوديسيوس... وهي حيلة الحصان الذهبي". [25]

وساهمت حيَّل الفلسطنيين على أرض المعركة من زرع الرعب في صفوف العدو المحتل للأرض من نصب الكمائن والقصف بالحجارة وما خفي أعظم.

ج - الإصراروالصبر من أجل العودة :

" لقد لقي أوديسيوس من المتاعب، وخاصة من المغامرات، شيئا كثيرا وقاسى من أهوال... تلك الملحمة "[26].

وعاش " أبو خالد " اليتم وعاني الكثيرمعأسرته، وتنقل بين أماكن كثيرة يبحث فيها عن رغيف الخبزغير مبالٍلا بلون الخبز ولا بحرارته، فقط شيئا يسد به الرمق، دون أن ينسيه ذلك حلم العودة إلى قريته " سيلة الظهر" ومن خلالها إلى كل فلسطين.

يقول الشاعر في هذا المقتطف من قصيدة **" الموت"** التي جاء في مطلعها: "

-خُذِ الرغيف أنت جائع قديم

إلى أن يقول :

-والتين والزيتون

-والطور

-والليمون

-والقرى المسحوقة العيون

-والعيون.. والعيو...

... ...

. . . ...

...

مغارةُ الجوع أنا " [27]

يبدو جليا أن الشاعر يتناص مع القرآن الكريمفي هذا المقطع والذي أراد به ذكر بعض المعالم الطبيعية لقريته، وكيف أصبحت مدمرة، وتفشى فيها الجوع حتى كأن الشاعر أغمي عليه، فلم يستطع إكمال قصيدته إلا بعد فترة، عبر عنها الشاعر بحزمة من النقاط قد تحسب بالثواني أو الدقائق، أو الساعات والشهور، بل ربما الأعوام والعقود، ولكن هذه الاستفاقة لم تأت بالجديد والحال هو الحالفقر وحرمان وجزع دائم. أو لعل قلبه توقف لمدة ثم عاد لينبض من جديد يبعث حروف الأمل وكلمات العودة والرجوع.

ومن قصيدة **" العودة "** يقول الشاعر:"

لم نأكل تفاحة آدم

لكن أقسمنا

أن نحيي الأرض "[28]

وفي هذا المقتطف يستمر الشاعر في التناص مع القرآن الكريم موظفاً قصة آدم عليه السلام وجعلها معادلا موضوعيا، بموجبها يصبح الشاعر بريئا، ولم يرتكب ذنبا يستحق بسببه الخروج من الجنّة ويقصد فلسطين.

د - الإخلاص والوفاء للمحبوب :

مثلما أخلص أوديسي وسلإيثاكا وملكة إيثاكا، الملكة "بنلوب" التي أخلصت هي أخرى إلى "أوليسيس" * حتى عاود اللقاء معهاواجتمعا معا رفقة ابنهما " تليماك".

وكما هو شائع وذائع صار الشعر العربي المعاصر من مقوماته الأساسية استخدام الرموز بشكل مفرط، فقدكانت محبوبة الشاعر هي فلسطين الجميلة وقضيته هي

القضية الفلسطينية ولذلك هولم يكتب لغير ها سواء كان النصّ عنوانا للحب أوعنوانا للحرب، أوعنوانا مشتركا بينهما.

يقول الشاعرفي هذا الصدد:" عندما أقول أن قصيدتي مغلقة على فلسطين... لأن فلسطين قضية كونية،... فيها الحب وفيها النضال، فيها الحياة اليومية،...أنا لم أكتب قصيدة غزلية واحدة في حياتي، ولكن كل القصائد التي كتبتها هي قصائد حب توازن بين الذات والموضوع في الشعر".[29]

كانت فلسطين بالنسبة للشاعربمكانة الوالدة والوالدوالمولودالذي لا ينشغل عنهم فؤاده، ولا ينصرف عنهم تفكيره،

4. الخاتمة:

لا يحتاج العارف بأعمال الشاعر الفلسطيني "خالد أبو خالد" والمطّلع على هذا المقال ليصفنابالمقصّرين في تقديم أعمال الرجل كماً وكيفاً نظراً لغزارة إنتاجه وقيمة أفكاره، كيف لا وهو القائل: "فإما فلسطين وإما فلسطين"، وإما أن نكون أو أن نكون، تلك هي المشكلة". قد لا نجد أحسن من هذه الكلمات الخالدة "لأبي خالد"، لنجيب عما استشكلناه في المقدمة. فالشاعر حاكى الأوديسة لأن بطلها حقق حلم العودة واسترجع ملكه كاملا غير منقوص، استرجع " مُلْكَ إيثاكا" واسترجع عائلته الصغيرة الابن والزوجة، "بني لوبوتيلماك".

لقد وجد الشاعر في ملحمة الأوديسة الحلم الجميل، الذي ينتهي بنهاية سعيدة تثلج صدر كل فلسطيني، يعيش في ديار الشتات، واجتهد الشاعر في محاكاته للآخر، على أن تكون هذه المحاكاة إيجابيةوثابتة، فبعد أن حاكى عوليس كشاعر، عاد "نخلة فلسطين" * ليحاكي شكسبير كمسرحي، ولكن بنظرة تفاؤلية محددة المعالم، لا تقبل القسمة على إثنين.

ليرسل لنا من خلالهانظرته ورؤيته لمفهوم "المحاكاة والتمثّل" في شقه التطبيقي على أنه محاكاة للواقع كما يتصوره هو، أو كما يريدالشعب الفلسطيني أن يكون، وليس كما ينبغي له أن يكون، فالذي يحمل قضية أمة مظلومة على كاهله لا يحق له التفكير

إلا في كيفية تخليصها من الاحتلال، وإهدائه لها الحرية والسلام الحقيقي لا المزيّف، والدائم لا المؤقت.

5 - الهوامش:

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة – مصر، د.ط، د.ت، ص 4134.

[2] جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، د.ط، تونس، 2004، ص 117.

* اهتدينا إلى هذا الكتاب- معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية- بفضل الأستاذة "دبابي مديحة"، في محاضرة نشرتها في اليوتوب تتحدث عن مفهوم "التمثل والمحاكاة".

* الرئيس السوري السابق من خطابه لجنودهفي حرب تشرين – أكتوبر 1973.

[3] وثائقي الميادين | الرجل الذي لم يوقّع - الجزء الأول، من الدقيقة 32 إلى الدقيقة 33.

[4] خالد أبو خالد، العوديسا الفلسطينية الأفعال الشعرية، ج1، بيت الشعر الفلسطيني، ط1، 2008، رام الله– فلسطين، ص 65.

[5] ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة – مصر، د.ط، د.ت، ص 954.

[6] أحمد عمر مختار، معجم المصطلحات العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط.1، القاهرة، 2008، ص. 542.

[7] مجدي وهبه وفؤاد المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط.2، بيروت- لبنان، 1984، ص. 339-340.

* نقول عنه بأنه مسرحي لأن أول إبداع أدبي لأبو خالد كان مسرحية بعنوان "فتحي".

[8] المصدر نفسه، ص340.

[9] خالد أبو خالد، العوديسا الفلسطينية، الأفعال الشعرية، ج1، بيت الشعر الفلسطيني، ط.1، 2008، رام الله – فلسطين، ص 170.

[10] مجدي وهبه وفؤاد المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط.2، بيروت- لبنان، ص340.

[11] أشعار نزار قباني، دراسة وإعداد إسلام إبراهيم، أطفالنا للنشر والتوزيع، الجزائر 2017، ص 291.

[12] خوابي الكلام - خالد أبو خالد، الدقيقة 17 إلى الدقيقة 19. /www.youtube.com/watch?v=mF0OMiDxTr0

[13] مجدي وهبه وفؤاد المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط.2، بيروت- لبنان، ص340.

[14] يرجع إلى :/www.alowais.com رحيل-الشاعر-والمناضل-الفلسطيني-خالد-أ

* نذكر هنا أن "أوليسيس" أو"أوديسيوس" أو"عولس" كما يسميه المشارقةكلها أسماء تدل على بطل ملحمة الأوديسة.

* "نخلة فلسطين" اسم أحبه الشاعر ويقول بأنه كان صامدا كالنخلة ومعطاءً مثلها، وقد فضّله على أسماء أخرى كانت الطبقة المثقفة تناديه بها.

[15] الشاعر الفلسطيني خالد أبو خالد . برنامج شعراء . الجزء الثاني . حوار عمار أبو عابد، التوقيت، من الدقيقة.16 إلى 18الرابط.
https://www.youtube.com/watch?v=csYJ6gp9Q4k

[16] www.al-safsaf.com/الشاعر-الفلسطيني-خالد-أبو-خالد-صاحب-ال.

[17] www.almayadeen.net/essays/898471/أبو-خالد-للميادين-نت--العوديسا-المعادل-الهوميري-للعودة-الفلس

[18] خالد أبو خالد، العوديسا الفلسطينية، الأفعال الشعرية، ج1، بيت الشعر الفلسطيني، ط.1، 2008، رام الله – فلسطين، ص 69.

[19] تحولات-الرمز-والدلالة-في-العوديسا-
http://newspaper.albaathmedia.sy/2020/05/12الف/

[20] خالد أبو خالد: (أدباء مكرمون)، دراسات وشهادات ونماذج شعرية، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 2002، ص. 7.

*ذكر أبو خالد أن قصيدة النثر (الشعر المنثور)، هي أطول عمراً من قصيدة التفعيلة، وتبيّن لنا بعد البحث، أن أول قصيدة في الشعر المنثوركانت في سنة 1907، للشاعر اللبناني "أمين الريحاني" وله ديوان صدر سنة 1955، بعنوان " هِتاف الأودية".

[21] الشاعر الفلسطيني خالد أبو خالد . برنامج شعراء . الجزء الثاني . حوار عمار أبوعابد، التوقيت، الرابط. https://www.youtube.com/watch?v=csYJ6gp9Q4k، من الدقيقة 9- د12.

[22] خالد أبو خالد، العوديسا الفلسطينية، الأفعال الشعرية، ج1،بيت الشعر الفلسطيني، ط.1، 2008، رام الله – فلسطين، ص. 362.

[23] www.youtube.com/watch?v=qo4CqhYmOes لشاعر الفلسطيني خالد أبو خالد . برنامج شعراء . الجزء الأول . حوار عمار أبوعابد، التوقيت،من الدقيقة.6 – 9.

[24] هوميروس، لأوديسة، ت: ديرني خشبة، ط.1، 2013، دار التنوير، بيروت- القاهرة- تونس، ص 7.

[25] نفس المصدر، ص 7.

[26] نفس المصدر، ص 7-8.

[27] خالد أبو خالد، العوديسا الفلسطينية الأفعال الشعرية، ج1، بيت الشعر الفلسطيني، ط1، 2008، رام الله – فلسطين، ص 53-54-55.

[28] المصدر نفسه، ص 55.

[29] الشاعر الفلسطيني خالد أبو خالد . برنامج شعراء . الجزء الثاني . حوار عمار أبوعابد، التوقيت، من الدقيقة.7 – 8. الرابط.
https://www.youtube.com/watch?v=csYJ6gp9Q4k